

تفسير البحر المحيط

@ 450 ذلك . والظاهر أن قوله : { وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ } من كلام الخزنة : أي دعاؤكم لا ينفع ولا يجدي . وقيل : هو من كلام الله تعالى إخباراً منه لمحمد صلى الله عليه وسلم) . وجاءت هذه الأخبار معبراً عنها بلفظ الماضي الواقع لتيقن وقوعها . .

ثم ذكر تعالى أنه ينصر رسله ويظفرهم بأعدائهم ، كما فعل بموسى عليه السلام ، حيث أهلك عدوّه فرعون وقومه ، وفيه تبشير للرسول عليه السلام بنصره على قومه ، { وَقَالَ إِنْ نَسِمَ آتِيَّ خِذْتُكُمْ } ، العاقبة الحسنة لهم ، { وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُادُ } : وهو يوم القيامة . قال ابن عباس : ينصرهم بالغلبة ، وفي الآخرة بالعذاب . وقال السدي : بالانتقام من أعدائهم . وقال أبو العالية : بإفلاح حجتهم . وقال السدي أيضاً : ما قتل قوم قط نبياً أو قوماً من دعاة الحق إلا بعث الله من ينتقم لهم ، فصاروا منصورين فيها وإن قتلوا . انتهى . ألا ترى إلى قتلة الحسين ، رضي الله عنه ، كيف سلط الله عليهم المختار بن عبيد يتبعهم واحداً واحداً حتى قتلهم ؟ وبختنصر تتبع اليهود حين قتلوا يحيى بن زكريا ، عليهما السلام ؟ وقيل : والنصر خاص بمن أظهره الله تعالى على أمته ، كنوح وموسى ومحمد عليهم السلام ، لأننا نجد من الأنبياء من قتله قومه ، كيحيى ، ومن لم ينصر عليهم . وقال السدي : الخبر عام ، وذلك أن نصرة الرسل والأنبياء واقعة ولا بد إما في حياة الرسول المنصور ، كنوح وموسى عليهما السلام ، وإما بعد موته . ألا ترى إلى ما صنع الله تعالى ببني إسرائيل بعد قتلهم يحيى عليه السلام من تسليط بختنصر حتى انتصر ليحيى عليه السلام ؟ وقرأ الجمهور : يقوم بالياء ؛ وابن هرمز ، وإسماعيل ، والمنقري عن أبي عمرو : بتاء التانيث . الجماعة والأشهاد ، جمع شهيد ، كشریف وأشراف ، أو جمع شاهد ، كصاحب وأصحاب ، كما قال تعالى : { فَكَيِّفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ } . وقال : { لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً } ، والظاهر أنه من الشهادة . وقيل : من المشاهدة ، بمعنى الحضور . { وَيَوْمَ لَا يَنْفَعُ } : بدل من يوم { يافوّم } . وقرء : تنفع بالتاء وبالياء ، وتقدم ذكر الخلاف في ذلك في آخر الروم ، ويحتمل أنهم يعتذرون ولا تقبل معذرتهم ، أو أنهم لا معذرة لهم فتقبل . { وَلَهُمْ أَلْلَاحُ الْعِزَّةُ } والإبعاد من الله . { وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ } : سوء عاقبة الدار . .

{ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى بِنُورِ إِسْرَءِيلَ الْكِتَابِ * هُدًى وَذِكْرَى

لَا وَلِيَّ الْإِلَهِيَّاتِ * فَاصْبِرْ إِنََّّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ * وَاسْتَغْفِرْ لِدَنِّكَ
وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ * إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ
فِي آيَاتِ اللَّهِ يَغْيِرْ سُلْطَانِ أَتَاهُمْ * إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كَيْدُ
مَّا هُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ فَاسْتَغْذِ بِاللَّهِ . .

ولما ذكر ما حل بآل فرعون ، واستطرد من ذلك إلى ذكر شيء من أحوال الكفار في الآخرة ،
عاد إلى ذكر ما منح رسوله موسى عليه السلام فقال : { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى
الْهُدَى } تأنيساً لمحمد عليه السلام ، وتذكيراً لما كانت العرب تعرفه من قصة موسى
عليه السلام . والهدى ، يجوز أن يكون الدلائل التي أوردها على فرعون وقومه ، وأن يكون
النبوة ، وأن يكون التوراة . { وَأَوْحَيْنَا بِإِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ } : الظاهر
أنه التوراة ، توارثوها خلف عن سلف ، ويجوز أن يكون الكتاب أريد به : ما أنزل على بني
إسرائيل من كتب أنبيائهم ، كالتوراة والزيور والإنجيل ، { هُدًى } ودلالة على الشيء
المطلوب ، { وَذَكَرَ } لما كان منسياً فذكر به تعالى في كتبه . وانتصب { هُدًى
وَذَكَرَ } على أنهما مفعولان له ، أو على أنهما مصدران في موضع الحال . .
ثم أمر